دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التراث العمراني في العلا وأهمية المحافظة عليه
المصدر:	مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
الناشر:	مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
المؤلف الرئيسي:	الشيباني، محمد عبدالهادي
المجلد/العدد:	ع 10
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2004
الشهر:	رمضان / نوفمبر
الصفحات:	67 - 92
رقم MD:	232537
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo, HumanIndex
مواضيع:	تاريخ العلا، التراث العمراني، مدينة العلا، السعودية، التخطيط العمراني
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/232537

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التراث العمراني في العلا وأهمية المحافظة عليه

د. محمد عبد الهادي الشيباني

الأستاذ المساعد بقسم التاريخ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مدخل

تعد العلا واحدة من أهم مدن الجزيرة العربية ، بما تحمله من تاريخ موغل في القدم ، ولأنها مهد الحضارات البائدة ، وآثارها لا تزال شاهدة على تلك الحقب التاريخية التي تعاقبت عليها .

ونظراً لخصوبة أرضها ، ولموقعها المميز ؛ فقد استوطنها الإنسان ، فنظم قنوات الرّي التي أينعت على ضفافها أشجار النخيل والفاكهة ، وبقية المزروعات التي يحتاجها الإنسان والحيوان .

ولما جاء الإسلام ، وشعّ نوره على أنحاء الجزيرة العربية ، دخلت العلا في الإسلام ، وأصبحت مدينة مهمة من مدن الجزيرة العربية ، يتقاطر عن طريقها الحجاج والمعتمرون وقوافل التجار من بلاد الشام ومصر على مكة والمدينة فقوي مركزها الاقتصادي .

ومع تقلبات الزمان وضعف الأمن الذي ضرب أنحاء الجزيرة العربية ، فقد حافظ أهل العلا على مدينتهم ودافعوا عن بلادهم ، وعاشوا في مدينتهم الجميلة ، وفي وسط نخيلهم وزروعهم إلى أن توحدت الجزيرة العربية على يد الملك عبد العزيز عليه رحمة الله تعالى .

ولأن أهل العلا خرجوا من مدينتهم القديمة ، وشيدوا منازل حديثة خارج المدينة القديمة ، فقد أضحت هذه المدينة مهجورة ، وتداعت بعض منازلها ، والكثير منها آيل للسقوط .

ولعل هذا البحث يلقي مزيداً من الضوء على أهمية المحافظة على بقاء هذه المدينة ، وسبل إعادتها إلى وضعها الطبيعي ؛ من أجل ربط الأجيال بماضي آبائهم وأجدادهم ، ولإبراز روائع العمارة والحضارة الإسلامية .

وحتى لا نسيء إلى الآثار الحضارية بمستحدثاتنا العصرية التي تطمس جمالها أو تودي بها ؛ فقد وجب أن تظل المناطق الأثرية خالية من المباني الحديثة إلى مسافة كافية ؛ حفاظاً على قيمتها الجمالية العريقة .

لقد أضحى التراث العمراني والعمارة التقليدية من أهم الشواهد الحضارية ، وعناصر الجذب السياحي في كثير من دول العالم ، التي أولتها اهتماماً خاصاً على المستويات كافة ؛ لذا يجب الاهتمام بالتراث العمراني بعامة والحفاظ عليه ، وإعادة صيانته وترميمه ، وتوظيفه لكي تدب فيه الحياة من جديد .

الموقع والمناخ

تقع العلا في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية على درجة الطول ٥٨° ٥٥ ٣٧ ، ودرجة العرض ٢٩ ٣٦ ٢٦ ، وتبعد عن المدينة المنورة ٣٧٠ كيلومتراً في اتجاه الشمال ، وعن حائل ٤١٦ كيلومتراً في اتجاه الغرب ، وعن تبوك ٤٧٠ كيلومتراً في اتجاه الجنوب ، وهي مرتبطة بهذه المدن بطرق مسفلتة يسهل الوصول إليها .

والعلا سهل منبسط ، يمتد طولاً من الشمال إلى الجنوب ، يمر في وسطه وادي القرى[1] تحيط به الجبال من الشرق والغرب ، وقد شكلت عوامل التعرية في هذه الجبال أشكالاً طبيعية رائعة .

ومناخ العلا جاف يميل إلى الحرارة صيفاً وإلى البرودة شتاءً ، ويبلغ معدل الأمطار ٢٥٤ ملم سنوياً ، ويبلغ ارتفاع العلا عن سطح البحر ما بين ٧٦٥ إلى ٨٢٥ متر[2] .

تاريخ العلا

(العلا) قبل الإسلام :

تقع (العلا) في أعلا وادي القرى ، وتبعد عن الحجر جنوباً ٢٢ كيلومتراً ، كانت مأهولة بالسكان منذ القديم . سكنها قوم ثمود ولحيان ومعين وديدان والأنباط .

وقد أثبتت المصادر الأثرية والتاريخية أن للمنطقة (العلا - والحجر) تاريخاً عريقاً يمتد من القرن السادس ق.م ، وحتى العصور الإسلامية المتأخرة .

---

(١) ويعرف حالياً بوادي العلا ، ويسمى أيضاً وادي الراشدي ، ويصب هذا الوادي في وادي الجزل الذي يصب في البحر الأحمر .عبد الرحمن الأنصاري ، وحسين أبو الحسن ، العلا ومدائن صالح ، ص ١٢ ، دار القوافل ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ .

(٢) زين العنزي ، معجم وتاريخ القرى ، ص ٢٤١ ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

وكانت تسمى قديماً ديدان ، وقد ورد اسم ديدان في التوراة وفي كتابات الآشوريين ، وفي العديد من الكتابات العربية القديمة[١] .

و (ديدان) أو (ددن) أقدم الممالك التي نشأت في هذه المنطقة ، وقيل : إن هذا الاسم نسبة لحاكم المدينة ، وقيل : إنما هو نسبة لاسم المعبود (ود - wadd) الذي كان يعبد في المنطقة منذ الألف قبل الميلاد ، واسم (ود) يعني المحبة .

ويرجع تاريخ ديدان إلى ما بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد .

وامتدت حدود المملكة حتى شملت الحجر (مدائن صالح) . وكانت ديدان (العلا) تحتل موقعاً استراتيجياً على الطريق الرئيسي لتجارة البخور والتوابل ، وهي من أهم المواد التجارية الرائجة في العالم القديم[٢] .

كما تذكر النقوش مملكة أخرى هي مملكة (لحيان) التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس ق.م. وكان يطلق عليها في المصادر الرومانية القديمة (Laeanites)[٣] .

وقد تكون مملكة (لحيان) هي نفسها مملكة ديدان ، فكانت النسبة الأولى للمدينة والثانية للقبيلة (لحيان)[٤] .

وكانت عبادة هاتين المملكتين عبادة وثنية ، فهم يعبدون أصناماً مثل ذي غيبة ، وسلمان ، وأبو إيلاف ، واللات ، والعزى ، ومناة ، ونكرح ، وَود .

وكانت تقدم القرابين لكهنة هذه الأصنام وسدنتها[٥] .

والذي يظهر أن اللحيانيين ومن بعدهم النبطيين قد نقلوا عاصمتهم من واحة ديدان (العلا) إلى الحجر ، والتي كانت تعرف في المصادر الرومانية (Hagra) أو (Agra) أو (Hagart)[٦] .

---

(١) العلا ومدائن صالح ، ص ١٤ .

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٢/٢٤٢-٢٤٣ ، دار العلم ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨م. العلا ومدائن صالح ، ١٤.

(٣) موزل ، شمال الحجاز ، ١٠٧ ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني ، مؤسسة الثقافة ، الإسكندرية ، ط١ ، ١٩٨٨م .

(٤) العلا ومدائن صالح ، ١٥.

(٥) هتون الفاسي ، الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية ، ٢١٦ ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ . العلا ومدائن صالح ، ١٥ - ١٧ .

(٦) موزل ، شمال الحجاز ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

وقد تكون قبائل اللحيانيين التي سكنت ديدان (العلا) والحجر جاءوا من اليمن بعد هلاك قوم ثمود الذين أرسل الله لهم نبيه صالحاً عليه الصلاة والسلام[١] .

والدليل على ذلك أن المعبودات التي كانت في جنوب الجزيرة العربية هي نفسها التي أضحت تعبد في ديدان (العلا) والحجر[٢] .

ويظهر أن مملكة لحيان لم تصمد طويلاً بسبب هجمات الأنباط ، الذين استطاعوا بعد استقرارهم في بلاد الشام أن يؤسسوا لهم مملكة عربية سميت مملكة الأنباط ، واتخذوا من سلع (البتراء) عاصمة لهم .

حيث استطاع الأنباط أن يستولوا على الحجر سنة (٦٥ ق.م) وعلى ديدان (العلا) (٩ ق.م)[٣] .

اشتهر الأنباط بالتجارة لأنهم يملكون أهم نقاط ومدن الطريق التجاري القديم بين الهند والشرق الآسيوي وبين بلاد الرومان .

ومما يوضح قوة الأنباط اهتمامهم بالمقابر التي أقاموها في مدائن صالح ، وفي عاصمتهم الأولى البتراء .

وبعد أن قضى الرومان على مملكة الأنباط في سنة ١٠٦م ، تحول طريق التجارة إلى البحر ، وبدأت الحجر (مدائن صالح) تفقد أهميتها بوضعها محطة رئيسية على طريق التجارة ، فاضمحل دورها وانعكس تدهورها الاقتصادي على حياة السكان ، وبدأ الناس في الرحيل عنها[٤] .

ولم يأت الإسلام إلا والحجر والعلا مثل غيرها من قرى الجزيرة العربية .

---

(١) يرى عبد الرحمن الأنصاري أن قوم صالح سكنوا الحجر في الألف الثاني قبل الميلاد ، وذلك باعتماده على الترتيب القصصي للأحداث في القرآن الكريم ، فقد ورد ذكر الثموديين بعد نوح وقبل موسى عليهما السلام ، ويرجع بعض المؤرخين فترة موسى إلى فترة حكم رمسيس الثاني (١٢٩٠-١٢٢٤)ق.م. ويعدونه فرعون موسى عليه الصلاة والسلام .(العلا ومدائن صالح ، ص ٥٠).

(٢) ابن الكلبي ، الاصنام ، ١٣، ١٧، ٥٥ - ٥٦، تحقيق أحمد زكي ، المكتبة العربية للتراث ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ . جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٥٥/٦ . عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص ٤٥٧ - ٤٧٧ ، دار النهضة العربية ، بيروت .

(٣) جواد علي ، المفصل ،٢٤٨/٢ .

(٤) إحسان عباس ، تاريخ دولة الأنباط ، ٦٠ ، دار الشروق ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٧م . العلا ومدائن صالح ، ص ٦٨ .

(العلا) في الإسلام :

تقع العلا في أعلى وادي القرى. قال ابن الكلبي : «سمي وادي القرى ؛ لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة ، وكانت من أعمر البلاد ، وآثار القرى إلى الآن ظاهرة ، إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب ، ومياه جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد »[١] .

وكان اليهود قد نزلوا وادي القرى ، واستخرجوا خيراتها ، وأساحوا[٢] عيونها ، وغرسوا نخلها ، ثم نزلتها قضاعة ثم جهينة وعذرة وبلي ، فعقدوا مع اليهود حلفاً كان لهم فيها على اليهود طعمة وأكل كل عام ، ومنعوها اليهود على العرب ودفعوا عنها قبائل قضاعة[٣] .

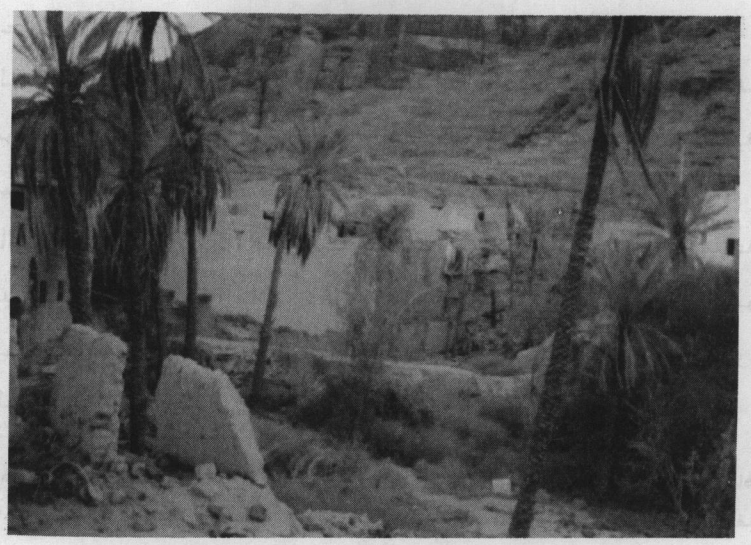

الجنينة مفيض عين تدعل حيث يتزود أهل المدينة بالماء

وبعد انتصار الرسول ﷺ على اليهود في معركة خيبر في السنة السابعة من الهجرة ؛ أرسل سراياه إلى وادي القرى ، ولم توضح المصادر الكيفية التي تم بها

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣٣٨/٤، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .

(٢) ساح الماء : سال من فوق واشتد انصبابه،وساح يسيح سيحا اذا جرى على وجه الأرض (ابن منظور ، لسان العرب (مادة سحح) ٤٧٦/٢ ، دار صادر بيروت.

(٣) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ٣٣٨/٤.

التي تم بها دخول وادي القرى تحت سيادة المسلمين ، وإنما اكتفت المصادر بذكر دخول وادي القرى صلحاً[١] .

ولم يكن اسم العلا مشهوراً في بداية التاريخ الإسلامي ، وحينما مرّ بها الرسول ﷺ أثناء ذهابه إلى غزوة تبوك في سنة ٩هـ/٦٣٠م ؛ صلّى في موضع العلا اليوم ، وكان اسمها على الراجح (قُرْح) .

وقُرْح : بالضم ثم بالسكون : هو سوق وادي القرى[٢] .

قال الشيخ حمد الجاسر معلقاً على قول السمهودي في وفاء الوفا[٣] حول مساجد غزوة تبوك ، فقال : « السادس : بِبَأَلَى بالموحدة المفتوحة ثم همزة ولام مفتوحتين على خمس مراحل من تبوك . قال المطري[٤] : وكذا هو في تهذيب ابن هشام[٥] ، وفي نسخة ابن زبالة بطرف البتراء ، ثم قال : المسجد الثالث عشر بالحجر ، وذكر ابن زبالة بدله العلا ، وكلاهما بوادي القرى ، الرابع عشر : بالصعيد صعيد قُرْح ، الخامس عشر : بوادي القرى ، وقال الحافظ عبد الغني في مسجد الصعيد : وهو اليوم مسجد وادي القرى » انتهى ملخصاً .

قال الجاسر : « ويظهر أنه حدث خلط بين هذه المواضع ، وأن المسجد الذي في صعيد قُرْح هو في بلدة العلا ، فقُرْح كما اتضح لي متصل بها من الشرق[٦] .

ويظهر أن صواب كلام ابن اسحاق هو (أَلاَ) بدون كسر الهمزة أو تشديد اللام الوارد في المخطوط »[٧] .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٣٨/٣ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ، صحيح البخاري مع الفتح ، ٥٥٧/٧ ، رقم ٤٢٣٤ ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، تحقيق محب الدين الخطيب وآخرين ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ . صحيح مسلم ، ١٠٨/١ ، رقم ١٨٣ ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧٤هـ .

(٢) معجم البلدان ، ٣٣٨/٤.

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ١٠٢٩ ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١٤٠٤هـ .

(٤) عند المطري : (... ومسجد بالا على خمس مراحل من تبوك) التعريف بما آنسَت الهجرة من معالم دار الهجرة ٧١-٧٢، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .

(٥) في تهذيب السيرة لابن هشام (بألاء) ٥٣٠/٤.

(٦) انظر العرب س ١٢ ، ص١٨٣ .

(٧) تعليقات الشيخ حمد الجاسر على كتاب الحازمي ، الأماكن ٦٨٧/٢-٦٨٨ ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٤١٥هـ .

ومما يؤكد ما ذهب إليه الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - من أن قُرْح هي العلا ما ذكره ياقوت حينما تحدث عن قُرْح. فقال: وهو سوق وادي القرى، وفي حديث أبي الشموس البلوي[١]: بنى[٢] رسول الله ﷺ في المسجد الذي في صعيد قُرْح، فعلّمْنا مُصَلاّه بعظم، وأحجار، فهو في المسجد الذي يصلي فيه أهل وادي القرى[٣].

وقال المقدسي في ذكر قُرْح: «... والجامع في الأزقة في محرابه عظم...»[٤].

ولا يزال يعرف المسجد الجامع في مدينة العلا القديمة بمسجد العظام.

(الطنطورة) الساعة الشمسية لأهل العلا

لقد ازدهر وادي القرى في القرون الإسلامية الأولى بسبب موقعه على طريق الحج الشامي[٥] وكذلك المصري[٦] وازدهار الحركة التجارية بين الأقطار الإسلامية.

ويصفها المقدسي (ت ٣٨٠هـ) فيقول: «وناحية قرْح تسمى وادي القرى، وليس بالحجاز اليوم بلد أجل وأعمر وآهل وأكثر تجاراً وأموالاً وخيرات بعد مكة من

---

(١) أبو الشموس البلوي: قال ابن السكن: له صحبة ورواية، ولا يوقف على اسمه زوقال البغوي: سكن الشام. وقال ابن حبان: يقال له صحبه. (ابن حجر، الاصابة ٢٠٧/٧. تحقيق: علي البجاوي، دار النهضة، مصر).

(٢) هكذا في المطبوع وأظن أنها (صلى).

(٣) معجم البلدان، ٣٢١،١٤٤/٤.

(٤) أحسن التقاسيم، ٨٣-٨٤، مطبعة بريل، ليدن، ط١، ١٩٠٩م.

(٥) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ١٨٣، مطبعة بريل، ليدن، ط١، ١٨٩٢م. الاصطخري، مسالك الممالك، ١٩-٢٠، مطبعة بريل، ليدن، ط١، ١٩٢٧م. وعند ابن حزم (بألاء)جوامع السيرة،٢٥٤، تحقيق إحسان عباس، ناصر الدين الأسد، دار إحياء السنة، باكستان.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٣٤٥/١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

هذا ، عليها حصن منيع ، على قرنته قلعة ، قد أحدق به القرى وأكنف به النخيل ذو تمور رخيصة ، وأخبار حسنة ، ومياه غزيرة ، ومنازل أنيقة ، وأسواق حارة ، عليه خندق وثلاثة أبواب محددة ، والجامع في الأزقة ... »[١] .

ومما لا شك فيه أن العلا قد تأثرت بالتقلبات السياسية والأمنية التي أصابت الجزيرة العربية منذ نهاية القرن الثالث الهجري ، وأضحت واحة أمن في الوسط الشمالي الغربي من الجزيرة العربية ، ومن الأمور التي سجلها الرحالة المسلمون والغربيون[٢] لأهل العلا أنهم اشتهروا بالأمانة والنظافة ، حيث كان يضع الحجاج أزوادهم وأمتعتهم الزائدة عند أهل العلا ويأخذونها إذا رجعوا إلى بلادهم[٣] .

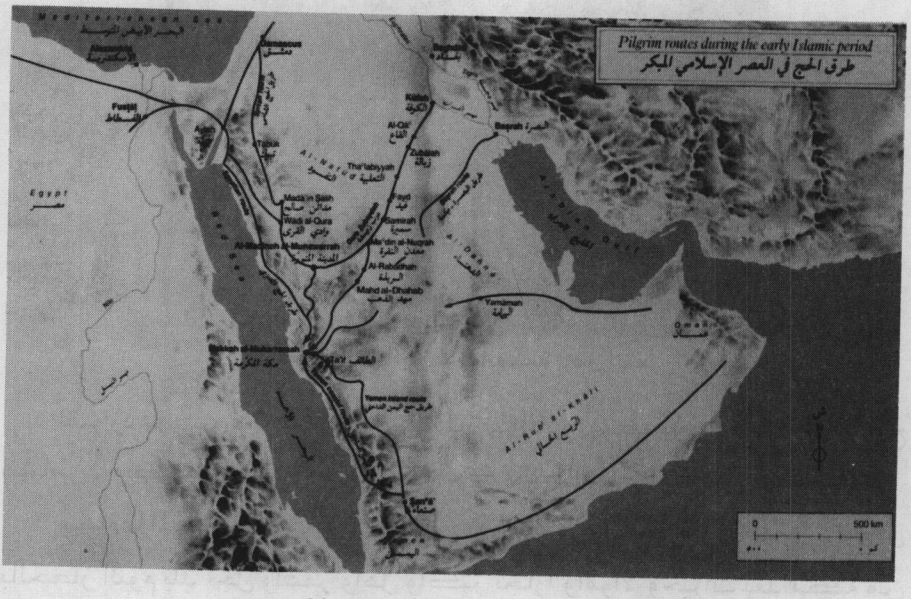

طرق الحج في العصر الإسلامي المبكر

(نقلاً عن كتاب (الربذة) لسعادة الدكتور سعد الراشد - جامعة الملك سعود - الرياض)

---

(١) أحسن التقاسيم ، ٨٣-٨٤.

(٢) انظر ما ذكره تشارلز داوتي عن العلا في زيارته لشمال الجزيرة العربية عام ١٨٧٦م ، في كتاب (العلا ومدائن صالح ، ص٤٠). ويوليوس أوتينج ، (رحلة داخل الجزيرة العربية ص ٢٠١) ، وكانت زيارته للعلا عام ١٨٨٤م ، ترجمة الدكتور سعيد السعيد ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ط١، ١٤١٩هـ .

(٣) إبراهيم بن شجاع الحنفي ، منازل الحجاز (مخطوط) نقلاً عن حمد الجاسر ، مجلة العرب ، س ١٢ ، ص ٣-٤ ، ١٩٩٧هـ. ابن بطوطة ، الرحلة ، ١/١٣٠-١٣١، تحقيق الدكتور علي بن المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، ١٤٠٠هـ . الجزيري ، درر الفوائد ، ٤٥٨ ، المكتبة السلفية ، ط١ ، ١٣٨٤هـ .

البلدة القديمة في العلا

تمثل بلدة العلا القديمة نموذجاً فريداً للمدينة الإسلامية ، فقد أقيمت حول القلعة الواقعة في الجزء الشمالي من المدينة ، وأقيمت القلعة على رأس هضبة صغيرة يقال لها :أم ناصر ، والقلعة تنسب للقائد المظفر فاتح الأندلس موسى بن نصير رحمه الله[١] .

وهذه القلعة (قلعة العلا) أعاد بناءها معز الدين الفاطمي ، وجددها السلطان العثماني سليمان القانوني[٢] .

وتصميم المدينة يشبه إلى حد كبير بعض المدن الإسلامية القديمة في الأندلس والمغرب ، فالشوارع ضيقة مرصوفة في غالبها ، والبيوت متلاصقة ، وإن كنت أرجح أن تخطيط المدينة بهذا الشكل يعود إلى الوضع الأمني في الجزيرة العربية ، حيث الخوف من اللصوص ومهاجمة الأعداء .

ولا نعلم متى استقرت المدينة على هذا الوضع ، ولكن الشيء المؤكد أن المدينة قديمة ، ويظهر ذلك في أزقتها وبيوتها .

وقد ذهب الأنصاري إلى أن المدينة بنيت في القرن السابع الهجري ، ولا أعلم على أي شيء اعتمد في تحديد هذا التاريخ ، وربما الذي جعل الأنصاري يذهب إلى هذا الرأي هو أن استعمال اسم العلا قد شاع في القرن السابع الهجري[٣] .

تخطيط المدينة القديمة

١- مكونات النسيج العمراني والعناصر المؤثرة في تركيبته العمرانية :

تقع العلا القديمة والتي يطلق عليها (الديرة) في الجزء الغربي من وادي العلا ، تحت جبل شاهق عالي الارتفاع يقع في جهتها

---

(١) موسى بن نصير ، أبو عبد الرحمن اللخمي الأمير الكبير ، متولي إقليم المغرب ، وفاتح الأندلس ، وكان أعرجاً مهيباً ، ذا رأي وحزم، عزله سليمان بن عبد الملك عن الأندلس ، وغرمه أموالاً طائلة لخلاف بينهما ، وذهبت بعض المصادر أنه توفي في وادي القرى فقيراً وحيداً ، وكانت وفاته على الراجح سنة ٩٧هـ. ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ٢١٣، مطبعة بريل ، ليدن ، ط١، ١٩٢٠م. أبو بكر المالكي ، رياض النفوس ، ١/١٢٠ ، تحقيق بشير البكوشي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ .

(٢) أولي جلبي ، الرحلة الحجازية ، ٩٩-١٠٠ ترجمة وتحقيق الدكتور الصفصاف أحمد المرسي ، وانظر تعليقات المترجم على الرحلة ، ص١٤٤ . لقد حدد أولي جلبي إعادة بناءها على يد المعز الفاطمي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م ويظهر أن هذا الأمر بعيد ؛ لأن المعز الفاطمي استولى على مصر في نفس السنة تلك .

(٣) العلا ومدائن صالح ،ص٣٥ .

الغربية ، ويفصل بينها وبين هذا الجبل ساحة مستطيلة تسمى الدور (المناخة) وهي تمثل السوق العام للبلدة ؛ ويحفها من الجهة الشرقية والشمالية بساتين النخيل التي تسقى من عين تدعل .

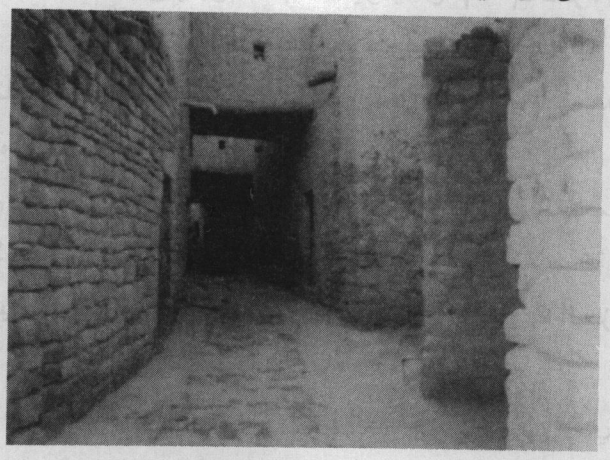

(الطيارة) التي تقام فوق الأزقة ، ويلاحظ رصف الأزقة بالحجارة

والمدينة مبنية من الحجر والطين ، يُبنى الدور الأرضي بالحجر غالبًا ، ثم ما يكون من زيادة إلى أعلى يكون باللبن المجفف (الطين) .

ونظراً لاعتمادهم على الأحجار في بناء بيوتهم فقد أخذ السكان الكثير من آثار الخريبة الأثرية (مملكة ديدان) ووضعوها في صلب بنائهم ، أو لتزيين بعض واجهات النوافذ والأبواب[١] .

وتسقف البيوت بجذوع النخل والجريد ، ومن أعواد الأثل القوية ، حيث يوضع الجريد متلاصقاً بعضه ببعض - بعد تنظيفه من الخوص وتجفيفه - فوق جذوع النخيل أو الأثل ، وبعد ذلك يفرش الخوص ، ثم يغطى بالطين المبلل بالماء ، مع شيء من الانحدار ليسهل تصريف مياه الأمطار .

وقد شكل تلاصق البيوت وتداخلها سوراً يحيط بالبلدة من جميع الجهات ، بحيث لا يمكن أن يُدخل إلى البلدة إلا من خلال بوابات معلومة يطلق على كل واحدة منها صور[٢] جمع أصوار ، وعدد هذه الأصوار أربعة عشر صوراً (أي باباً) تفتح على أزقة متعرجة تؤدي للمنازل ، تقفل ليلاً وتفتح عند الصباح .

---

(١) أوتينغ ، رحلة داخل الجزيرة العربية ، ص ٢٠٠ .

(٢) الصور : يُطلق على البوابة الكبيرة بلهجة أهل العلا .

البلدة القديمة في العلا

المصدر : حامد السليمان ، مقدمة مختصرة عن العلا ومدائن صالح ، ص ٤٨ .

ومن أشهر هذه البوابات بوابة (صور) الكاووش وهي أكبر البوابات ويطلق عليها الصور الكبير أو صور العسكر ، وسميت بذلك لأنها كانت مقراً لشرطة البلدة ، ومنها يدخل السيل المنحدر من الجبل الغربي ، ومن الأصوار المهمة صور حسناء وتقع جنوب البلدة ،ثم صور أبو ذياب .

ولا تزال الأصوار الغربية باقية إلى اليوم ، أما الأصوار الشرقية فقد تهدمت وزالت معالمها[١] .

٢- النسيج العمراني للمدينة القديمة خصائصه وتطوره :

(٢-١) صممت مدينة العلا القديمة وفق خطط بنائية أمنية ، ممثلة في إحاطة العلا بسور ضخم يضم داخله جميع منازل السكان ، ويتم الدخول والخروج من خلال خمسة عشر بابًا تغلق أثناء الليل وتفتح أثناء النهار ، ويطلق على البوابة اسم صور - كما مر معنا - مثل : صور حسناء ، وصور أبو حويان ، وصور أبو ذياب ، وصور ابن عامر ، وصور ابن عبد الكريم ، وصور ابن عيد ، وصور الشواكين وصور آل حميد[٢] .

---

(١) إبراهيم الحجيري ، العلا ، ص١-٨ ، ١٤٢٢هـ .

(٢) إبراهيم المحفوظ ، مقاهي العشائر في العلا ، ٩٦ ،ط ١ ١٤٢٢هـ .

(٢-٢) بنيت المنازل من الحجارة ، وشيدت على شوارع ضيقة ومتعرجة .

(٢-٣) هناك بعض القلاع المتهدمة والواضح بقاياها في السور الجنوبي للعلا .

٣ - عناصر النسيج العمراني لمدينة العلا القديمة :

تتميز العلا كغيرها من المدن الإسلامية بعناصر خمسة ، وهي (الحصن ، القصر ، المسجد ، السوق ، الشوارع الطويلة المتعرجة الضيقة)[١] .

(٣-١) الحصن ، ويقع في أقصى شمال مدينة العلا ، يدل على القدم والإتقان والأهمية التي كان يشعر بها أهل العلا حيال مدينتهم ، وهو منسوب لفاتح الأندلس موسى بن نصير ، وقد بني فوق جبل صغير يسمى جبل أم ناصر ، والحصن الآن متهالك وجزء كبير منه متهدم .

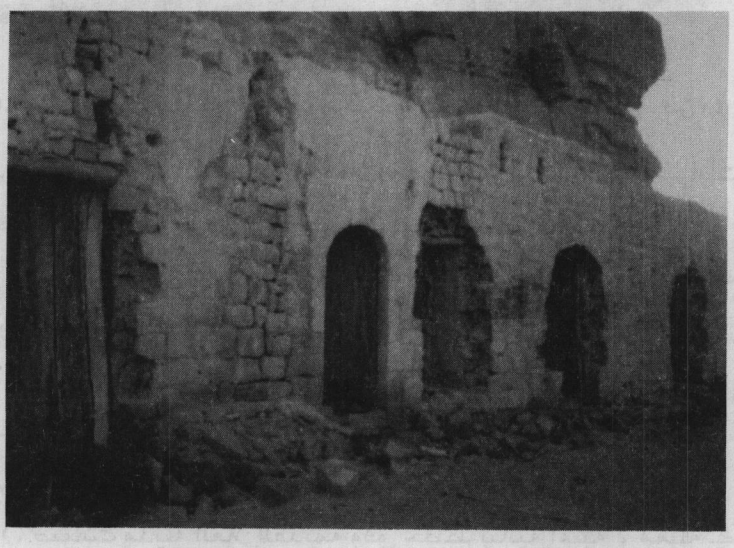

جزء من واجهة المدينة من الناحية الغربية

(٣-٢) المنزل : لقد أدى ضغط الاحتياجات الأمنية وضعف الإمكانيات الاقتصادية وبساطة الأساليب المعيشية إلى إنشاء منازل صغيرة المساحة ، متوسط الدور الأرضي (٦م×٨م) ، وهي متلاصقة ببعضها البعض ، مظلمة من الداخل لعدم وجود منافذ في الدور الأرضي .

---

(١) جراهام أندرسون ، مشكلة حفظ المباني التراثية في المناطق الحضرية بإمارة الشارقة ص١٩٥، ترجمة المهندس حيدر الأمين محمد سعد ، دائرة الثقافة والإعلام ، حكومة الشارقة ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

(٣-٣) المسجد : يعتبر مسجد العظام الأثري أهم مسجد في مدينة العلا القديمة ، وقد بقي المسجد الجامع حتى تحول أهل العلا عن المدينة القديمة ، ولا يزال المسجد محافظاً على تماسكه .

وهناك بعض المساجد الصغيرة مثل : مسجد الصخرة ، ومسجد الزاوية ، والمسجد الشمالي .

(٣-٤) السوق : تقع السوق الرئيسية خارج السور الغربي ، والسور ساحة كبيرة يتم فيها البيع والشراء ، إضافة إلى مباني مخصصة للجزارة ، وبيع بعض المستلزمات التي يحتاجها الناس في ذلك الحين .

وتوجد بعض الأسواق الداخلية في بعض منعطفات الشوارع الفسيحة مثل : سوق الحجيري ، وسوق المحمد ، وسوق بن شكر ، وسوق الأطرش ... وغير ذلك من الأسواق الصغيرة.

(٣-٥) الشوارع : تنتظم المنازل على طرق ضيقة متعرجة يتراوح عرضها مابين المتر والنصف إلى المترين ، وقد تصل في بعض الأماكن إلى ثلاثة أمتار.

٤ - ظهور النسيج العمراني ودور العادات والتقاليد في تكوينه :

يعتبر تخطيط مدينة العلا القديمة متوافق مع الأهداف التي قامت عليها تخطيط المدن الإسلامية ، والتي تلتزم الخصوصية ، وعدم الكشف على الآخر .

كما لعب الوضع الأمني والعشائري دوره الأكبر في تلاصق المباني واكتظاظها ، فعند المقارنة بين عدد المساكن والمساحة المقامة عليها نجد التكدس الكبير لتلك المساكن وساكنيها في بقعة محدودة من الأرض ، مع وفرة الأماكن الصالحة للسكن بجوار المدينة القديمة .

٥ - الترابط الوظيفي والعمراني والاجتماعي لهذا النسيج وخلق التجانس العام بين عناصر المدينة :

حينما ندقق جيداً في الظروف الحياتية (المعيشية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأمنية) التي عاشها أهل العلا عبر أطوار تاريخهم فإن نجد الترابط والتكامل والتجانس يتفق مع تخطيط وبناء المدينة القديمة ، فالعلا تقع في وسط بيئة صحراوية قاحلة ، وهي منقطعة عن المدن الحجازية الكبرى ، محاطة بقبائل بدوية لا تخضع لأي سلطة ، الأمر الذي زاد الحالة الأمنية سوءاً ، وهي المكان الوحيد في تلك الأنحاء الذي توجد فيه مقومات الحياة (الماء والطعام) .

في ظل هذه الأوضاع قامت ونشأت مدينة العلا ، فحتم المصير الواحد على أهل العلا الترابط والتماسك وإيجاد الحلول المناسبة لأي خلاف ، والصرامة في تطبيق الأنظمة والأعراف المحلية . لذا كان التكامل الوظيفي والعمراني والاجتماعي واضحًا ومتجانسًا مع النسيج العمراني بجميع عناصره .

تخطيط المنازل والأزقة في المدينة القديمة

تتألف مدينة العلا القديمة (الديرة) من (٨٧٠) بيتاً . وقد لعبت الظروف الأمنية الدور الأكبر في تخطيطها .

فكل بيت يتكون من دورين أو ثلاثة أدوار ، يتألف الدور الأرضي من فناء واسع ، فيه جزء للدواب وآخر للرحى لطحن الحبوب ، يطل على هذا الفناء غرفتان تسمى كل واحدة منهما قاعة ، واحدة تكون مجلساً للرجال والثانية تستخدم للنوم شتاءً ، أو تكون مخزناً .

ويربط سلم - مبني من الطين والحجارة - الدور الأرضي بالدور الأول ، الذي يتألف من صالة مكشوفة تسمى الصحن ، تستخدم للجلوس صباحاً وقت الشتاء (وتسمى مشراقة) وللنوم ليلاً في أشهر الصيف ، كما تستخدم مربداً لتجفيف التمر والحبوب بعد حصادها ، وتطل على الصالة غرف عدة . وربما استغل صاحب البيت الشارع الفاصل بينه وبين جاره فيمد جذوع النخل على طرف جدار جاره فوق الشارع ويقيم عليه غرفة تسمى (طيارة) .

ويقع المسجد الجامع (مسجد العظام) في الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة .

كما يوجد في الجهة الجنوبية من البلدة ساحة صغيرة مربعة يطلق عليها الدرب ، يجتمع فيها الناس كل يوم بعد صلاة العصر مباشرة لتقسيم وتوزيع مياه الرّي ، كما توجد (الطنطورة) (الساعة الشمسية) التي يتم على ظلها تحديد موعد حصص أصحاب الماء من العيون ، كما يتعرف أيضاً من ظلها على مواعيد دخول مواسم الزراعة .

أما الأزقة فهي طويلة متعرجة وضيقة ، ينفذ بعضها على بعض ، وهي مسقوفة إلا بعض أجزاء منها تسمح بدخول الضوء والهواء ، وعرضها يتراوح ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار .

ويوجد في الأزقة ما يسمى (بالدكة) يجلس الناس عليها يتبادلون الحديث ، ويبيعون ويشترون ، وقد رصفت غالب الأزقة بالحجر .

ويوجد تحت البيوت مجار لصرف مياه الأمطار حال نزولها إلى المزارع .

وتقع في الجهة الجنوبية من الديرة مقبرة أهل العلا .

قال الرحالة التركي أولي جلبي الذي مرّ بها في حجه سنة ١٠٨١/١٦٧٠م : « ... وخارجها « القلعة » ما يقارب من سبعمائة منزل سليم ، سقوفها مغطاة بالطين ، أهلها من أتباع المذهب المالكي ، المياه متوفرة في كل منزل من منازلها ، تمورها لا مثيل لها في ديار أخرى ، والنهر الذي يمر وسط المدينة يروي الحدائق والبساتين التي تنتج الليمون ، والنارنج في حجم رأس الإنسان ، محصولها من القمح وفير ، ينضج في شهرين : أهلها شداد عصاة غلاظ ... »[١] .

وفي عام ١٨٧٦م زار العلا تشارلز داوتي Doughty C.R.M[٢] فقال : « ... ظهرت أزقة المدينة نظيفة جداً ، ولكنها مظلمة بسبب وجود غرف مبنية فوق الأزقة ، بسبب ضيق المساحة ، وعند كل بيت توجد دكة من الطين ، ويلاحظ عدم انتشار الأوساخ في شوارع البلدة ، ولا يسمح للكلاب بدخولها ، ولا يوجد سوق تجاري، فالأشياء الصغيرة من الاحتياجات اليومية تباع بعد شروق الشمس عند منعطفات الأزقة ، كما يبيع الجزارون وقت العصر لحم الضأن والماعز في الفضاء خارج الأسوار ، أما الفواكه فكل يبيع ما ينتجه بستان منزله ... »[٣] .

طرق المحافظة على المدينة القديمة (الديرة)

وضع المدينة القديمة الآن :

استطاع أهل العلا أن يحافظوا على مدينتهم عبر القرون التي مرّت عليهم سليمة متماسكة ، على الرغم من أن المدينة تقع وسط قبائل بدوية جاهلة فقيرة لا تخضع لسلطة[٤] .

---

(١) الرحلة الحجازية ، ٩٩ .

(٢) هو أحد خريجي جامعة (كمبريدج) كان متخصصاً في علم اللغة والآثار ، ثم شد رحاله إلى المشرق عام ١٨٧٠م ، وبلغ سوريا عام ١٨٧٤م ، حيث تعلم العربية في دمشق ، ثم التحق بقافلة الحجاج عام ١٨٧٦م إلى أواسط جزيرة العرب ، حتى وصل إلى الحجر (مدائن صالح) وتيماء وخيبر وحائل والقصيم ثم عاد إلى انجلترا عام ١٨٧٨م ، ويعد كتابه (رحلات إلى الصحراء العربية - travels in Arabia Deserta) من أفضل كتب الرحلات لاحتوائه على مواد علمية مهمة . (بيتر برينث ، بلاد العرب القاصية ، ١٨٣-١٩٣، ترجمة خالد أسعد وأحمد غسان ، دار قتيبة ، بيروت ، ١٤١١هـ . نجيب العقيقي ، المستشرقون ، ٢/٧٠-٧١ ، دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٩٨٠م) .

(٣) نقلاً عن كتاب (العلا ومدائن صالح) ص٤٠ .

(٤) انظر شيئاً عن الوضع الأمني حول العلا عند الجزيري ، درر الفوائد ، ٤٦١ . أوتينغ ، رحلة داخل الجزيرة العربية ، ١٨١-٢٣٨ .

ولعل تماسك أهلها وديانتهم ، وترابطهم مع بعضهم قد حال دون خراب مدينتهم الجميلة ، فاستطاعت هذه المدينة - وهي الوحيدة الباقية في الجزيرة العربية - المحافظة على نفسها في وجه عاديات الزمان .

لقد عاش أهل العلا في مدينتهم (الديرة) حتى نهاية الثمانينات من القرن الهجري الماضي ، فبعد أن تحسن الوضع المادي في المملكة خرج أهل العلا من مدينتهم القديمة وأقاموا مساكن خاصة لهم في أحياء جديدة تقع في غالبها إلى الجنوب من المدينة القديمة (الديرة) ، ولم يأت عام ١٤٠٠هـ تقريباً إلا وكانت خالية من السكان تماماً[١] .

ووضع البلدة القديمة الآن (الديرة) يدعو للرثاء ؛ فالقلعة متهدمة في غالبها ، وكذلك كثير من الأبنية في وسط المدينة وفي شرقيها ، أما الأجزاء الغربية من البلدة فلا تزال متماسكة .

والبلدة بوضعها الحالي لا يمكن الدخول في أزقتها الضيقة ؛ بسبب تهدم بعض الجدران ، إضافة إلى خطورة الانهيارات المفاجئة التي يمكن أن تحدث في أي حين .

ومن الأمور التي يجب التنبيه لها قبل فوات الأوان هو خطورة تعرض البلدة للحريق ، الذي سيأتي على البلدة كاملة في حال حدوثه - لا قدر الله - بسبب السقوف والأبواب الخشبية القابلة للاشتعال .

ومن هنا فإني أدعو الهيئة العليا للسياحة ، والشركات السياحية بالعمل الجاد على المحافظة على هذه المدينة القديمة وترميمها وجعلها معلماً سياحياً مهماً يذكرنا بتاريخ أسلافنا .

ومن الأمور المهمة التي يمكن أن تساعد في المحافظة على مدينة العلا القديمة ما يلي :

- إحاطة المدينة القديمة بسور على هيئة السور القديم ، وينبغي الأخذ في الاعتبار إحكام هذا السور ؛ نظراً للمتغيرات المناخية .
- ترميم المباني القديمة ، وإبقاء الطابع العمراني التراثي ماثلاً للسكان ؛ ليكون مرجعاً عمرانياً لما كان عليه أسلافنا ، وذلك بالتعرف على أسلوب حياتهم ، وكيف تعاملوا معها تخطيطاً وعمراناً .

---

(١) إبراهيم الحجيري ، العلا ، ص٨ . ومقابلة شخصية مع الدكتور أحمد شويكان في العلا بتاريخ ١٤٢٤/٥/١٤هـ .

ومن هنا يمكن لنا أن نعد الهدف الرئيسي هو المحافظة على كامل النسيج العمراني للمنطقة كما هي عليه في السابق ، مع الاستفادة الكاملة من المباني إما كلها أو بعضها ، على أن يتم ذلك من خلال ترميم المباني السكنية والخدمية والطرق على عدة مراحل :

أ - مرحلة الدراسة :

١- تثبيت الحالة الراهنة وذلك بتقديم تحليل مفصل للبيئة المكانية المتبقية من مدينة العلا القديمة ، باستعمال الصور المساحية والفوتوغرافية والرسومات التي تجسد العمارة المحلية[١] .

٢- تصنيف الحالة العمرانية للمباني من حيث :

٢- ١- استعمالات المباني (سكني ، خدمي ، ديني ، تعليمي) مع ملاحظة العناصر الخمسة التي تميز مدينة العلا وغيرها من المدن الإسلامية وهي (الحصن ، القصر ، المسجد ، السوق ، الشوارع الطويلة المتعرجة الضيقة)[٢] .

٢-٢- تقييم حالة المبنى (جيد ، متهالك ، آيل للسقوط) .

٢-٣- وضع مخطط تفصيلي لجميع المباني المقامة أو المتهدمة .

٢-٤- تقسيم المخطط التفصيلي إلى مراحل تنفيذية[٣] .

ب - مرحلة التنفيذ :

يتم تنفيذ المشروع وفقاً للإمكانات المتاحة ، ووفقاً للهدف المعلن بالمحافظة على الطابع العمراني لمدينة العلا القديمة ، ويكون التعامل مع كل مرحلة كما يلي :

---

(١) انظر الدراسة القيمة التي كتبتها الباحثة سلمى شامر عن تريم وشبام واستخدام العمارة الطينية هناك على نطاق واسع .

THE VALLEY OF MUD BRICK ARCHICTURE SHIBAM TARTM & WADI HADRAMUT BY SALMA SAMAR DAMLUGI .

CONSERVING EARTHEN ARCHITECTURE Printed Volume 22 , NO: 6 . 1999 .

ومقال هادي عويشاوي ، العمارة التقليدية باليمن ، ص ١٠٨ ، مجلة البناء ، عدد ٢٣-٢٤ ، ١٤٠٥ هـ ، الرياض .

الدرعية في طور الترميم ، مجلة البناء ، عدد ٤٠ ، سنة ١٤٠٨ هـ ، الرياض .

(٢) جراهام أندرسون ، مشكلة حفظ المباني التراثية في المناطق الحضرية بإمارة الشارقة ص١٩٥، ترجمة المهندس حيدر الأمين محمد سعد ، دائرة الثقافة والإعلام ، حكومة الشارقة ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

(٣) المصدر السابق ، ١٩٥-١٩٧ . عبد العزيز بن سعود اللهيم ، تجربة مشروع المسح التراثي للمباني الطينية بمدينة الرياض ، بحث مقدم لندوة التراث العمراني وسبل المحافظة عليه ، الرياض ، شعبان ١٤٢٤هـ .

١- **إعداد دراسات مساحية تفصيلية للمنطقة كاملة** ، وربطها بالدراسات المساحية لتصريف السيول ، والربط بالمحاور الرئيسية التي تشمل الشوارع المحيطة بالمشروع ، والمحددات الطبوغرافية ، التي يمكن أن تؤثر في الموقع .

٢- **إعداد مخطط تفصيلي لاستخدامات المباني** .

٣- **البدء في المرحلة الأولى** ؛بدراسة تفصيلية لكل مبنى ، بحيث تشمل الدراسة :

٣-١- حالة المبنى (مفصلاً) من الناحية الإنشائية ، وتتضمن العناصر المعمارية كافة ؛من واجهات وأرضيات وسقف وسلالم وأبواب وشبابيك وأعمدة ومداخل وغير ذلك ، وكذلك الأشكال المعمارية من شرفات وميازيب وزخارف طينية وجصية ، والأخشاب والنقوش والرسومات الجدارية وغيرها ، وأساليب المعالجة لاتزان المباني ، وأساليب المعالجة لقوة تحمل المباني وأساساته[١] .

٣-٢- الرسومات المعمارية التفصيلية (المساقط ، والواجهات ، والقطاعات) ، وكتابة أسماء الغرف والأفنية طبقاً لأسمائها الأثرية ، وعمل جداول بمواد الإنهاء المعمارية للواجهات والأرضيات ، وجداول الأبواب والشبابيك والسقف مع توقيع أماكن الشروخ على المخططات ومخططات التفاصيل المعمارية والإنشائية للمباني .

٣-٣- إعادة تصميم المبنى وفقاً للأسس والمعايير العمرانية التي تلتزم بالعناصر التي كانت تستخدم قديماً[٢] .

---

(١) محمد بن عبد الله الحمدان ، حماية التراث العمراني ، ص٨ ، بحث مقدم لندوة التراث العمراني وسبل المحافظة عليه ، الرياض ، شعبان ١٤٢٤هـ .

(٢) من المعروف أن المواد المستخدمة في بناء مدينة العلا القديمة هما الحجارة والطين ، انظر حول التطور في استخدامات الطين وصناعته ، (معرض البناء بالطين في الرياض ، مجلة بناء ، العدد ٤٠ ، عام ١٤٠٨ هـ ، الرياض .
حسن فتحي ، عمارة الفقراء ، ص ٣٠٢ ، ترجمة مصطفى فهمي ، مطبوعات كتاب اليوم ، ١٩٩١م ، القاهرة .
HASSAN FATHY ATALE OF TWO VILLAGES . P. 5 ,37 . 1989 . EGYPT .
THE VALLEY OF MUD BRICK ARCHICTURE SHIBAM TARTM & WADI HADRAMUT BY SALMA SAMAR DAMLUGI
NAGOGINE : H M , 111- OCOBE 1985 , 39-44 -112-114 . PUBLIE A PARIS
LA RENAISSANCE DE L ARCHITECTURE EN FRANCE - FRANCE INFORMATIONS - 137. -33 - 31 .
شيخ المعماريين حسن فتحي ، مجلة الهندسة ، عدد ١٩-١٩٨٨ ، باريس ، د/ محمد بن عبد الله ، الطين كمادة منظمة لانتقال الحرارة ، ص ٣٢ ، مجلة المهندس ، عدد ٧-١٤٠٨ هـ ، الرياض .

٣-٤- إعداد الدراسات التفصيلية لترميم المباني ، أو إعادة بنائها كاملاً حسب حالة المبنى ، وذلك وفقاً للأساليب الإنشائية التقليدية[١] والالتزام باستخدام مواد البناء المحلية[٢] .

وقبل أن تبدأ أعمال الترميم يجب ملاحظة ما يلي :

أ - إزالة جميع الأعمال المستحدثة من مباني وأرضيات وسقف وأبواب وشبابيك ، وإعادة المبني إلى حالتها الأصلية .

ب - ترميم جميع أجزاء الباني من أساسات وحوائط ولياسات وشروخ رأسية وأفقية وأرضيات بجميع الأدوار والأسطح ، وإصلاح جميع السقف والأبواب والشبابيك ، واستكمال الناقص من جميع ما سبق ذكره ؛ لاستكمال جميع عناصر المباني ومعالجتها ضد العوامل الخارجية والداخلية .

ج - إعادة تأهيل وتوظيف المباني والموقع المحيط بها طبقاً للتصور النهائي وما يحتاجه من خدمات[٣] .

٣-٥- بعد اكتمال أعمال ترميم المباني ، يتم استكمال أعمال الرصف والتشجير ، وتنسيق الموقع وإدخال الخدمات الأساسية ؛ من كهرباء ، وماء ، وصرف . بما يحقق الخدمة الوظيفية لهذه المرحلة .

٣-٦- تشغيل المبنى .

٣ - الصعوبات والمعوقات وكيف يمكن التغلب عليها :

هناك جملة من الصعوبات والتحديات التي يمكن أن تعرقل الجهود الرامية للحفاظ على التراث العمراني ليس في العلا وحسب بل في جميع مناطق ومدن

---

(١) انظر عن إعادة بناء الجدران وتدعيمها :

LINCOLNSHIRE BUILDINGS IN THE MUD AND STUD TRADITION BY RODNEY COUSINS PRINTED : 1984

ومشروع ترميم منزل زينب خاتون في القاهرة ، مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية ١٩٨٧م .

(٢) انظر عن المحافظة على الطين والأخشاب :

CONSERVING EARTHEN ARCHITECTURE FROM : CULTURAL RESOURCE MANAGEMENT VOLUME 22 NO 6 , 1999 .P . NO : 59 .

CONSERVING EARTHEN ARCHITECTURE Printed Volume 22 , NO: 6 . 1999 .

و أ.د/ صالح لمعي ، وعبد الحق العقبي ، تقرير عن ترميم مبنى مكتبة عارف حكمت ، المدينة المنورة، مكتوب بالآلة الكاتبة ، ١٩٩٠م .

(٣) محمد بن عبد الله الحمدان ، حماية التراث العمراني ، ص١٠.

المملكة ، ونحن حينما نشير إلى تلك الصعوبات فإنا نأمل ونتطلع إلى حل تلك المشكلات وإيجاد الحلول العملية الفورية لها ، ومن أبرز تلك المعوقات والصعوبات ما يلي :

أولاً : الأنظمة والقوانين :

أ - معظم المباني التقليدية ملكية خاصة ومشتركة بسبب الإرث .

ب - لا يوجد نظام للتراث العمراني يضبط طريقة التعامل معه ، ويحدد مسؤولية الدولة والجهات ذات العلاقة والأفراد .

ج - لا توجد معايير معتمدة لتصنيف القرى والبلدات والأحياء والمباني التقليدية حسب أهميتها العمرانية والسياحية ؛ فضلاً عن نقص المعلومات التاريخية عن هذه المناطق .

د - لا توجد معايير وإرشادات لترميم وصيانة التراث العمراني يسترشد بها الأفراد الذين لديهم الرغبة في المحافظة على مبانيهم التراثية .

ثانياً : الحماية والمحافظة على التراث العمراني :

أ- لا توجد جهة إدارية في الدولة تتحمل مسؤولية حماية القرى والبلدات والأحياء والمباني التقليدية .

ب- قصور النواحي الإدارية والتنظيمية لدى الجهات المعنية بالحفاظ على التراث العمراني وأبرزها (البلديات) التي ليس في هياكلها التنظيمية إدارات أو أقسام معنية بالحفاظ على هذا التراث .

ج- بعض القرى والبلدات التي هجرت لا تهددها ضغوط التحديث ، وإنما يجري فقدانها وتهدمها بفعل عوامل الطبيعة .

د- قصور سياسات وأساليب التخطيط العمراني وأنظمة البناء والهدم والإزالة التي تتبعها الأمانات والبلديات ، وغالبيتها تتجاهل التراث العمراني ، بل إن بعضها يشكل مصدر تهديد لهذا التراث .

ثالثاً : الوعي والفهم بأهمية التراث :

أ- لا يوجد وعي بأهمية المحافظة على أبنية التراث العمراني ، كما يوجد إهمال في الجوانب الإعلامية والتوعوية والتشجيعية للحفاظ على التراث العمراني كالحملات والندوات والمحاضرات والنشرات والمطبوعات والمسابقات والمهرجانات والجوائز وغيرها .

ب- يوجد نقص في الكوادر الفنية والبشرية ذات التأهيل العالي والكفاءة والتخصص في الجهات التي ينتظر منها المحافظة على التراث العمراني .

ج- قلة الوعي لدى الكثير من السلطات المحلية التي تصدر القرارات الخاصة في تطوير مناطق التراث العمراني .

رابعاً : الاستثمار والتمويل :

أ- لا توجد برامج أو خطط لتوثيق وتسجيل أماكن التراث العمراني في المملكة .

ب- قلة الدراسات الفنية والاقتصادية عن جدوى استثمار القطاع الخاص لمواقع التراث العمراني .

ج- انحسار المهارات الفنية التقليدية ذات الخبرة والمعرفة بتقاليد البناء القديم ، نتيجة لتوقف بناء المساكن بالطرق التقليدية ، أو صيانة المباني القديمة .

د- عدم وجود نظام يبين حقوق والتزامات المستثمرين لمواقع التراث العمراني.

هـ- تتشتت الجهود بين الجهات ذات العلاقة في تهيئة البيئة الاستثمارية المناسبة لعرضها على المستثمرين[١] .

بعد استعراضنا لتلك المعوقات التي تقف حاجزاً أمام المحافظة وتوظيف واستثمار التراث العمراني ، يمكن أن نعرض دور الجهات المختلفة في تذليل الصعوبات وتنمية وتطوير وإدارة التراث العمراني .

أولاً : الجهات الحكومية :

أ - المسارعة في استصدار قانون وطني يحمي التراث العمراني :

لقد أشارت كثير من الدراسات إلى أن جزءاً كبيراً من المشكلة يمكن إرجاعه إلى عدم وجود قوانين وأنظمة تعمل للمحافظة على التراث العمراني وحمايته من الزوال والإزالة؛ فينبغي أن تتضافر جهود الهيئة العليا للسياحة مع البلديات لصيانة نظام متكامل يغطي جوانب المشكلة من جميع النواحي النظامية والإجرائية[٢] .

---

(١) علي الغبان ، الوضع الراهن للتراث العمراني الوطني في ضوء دراسات الهيئة العليا للسياحة ، ورقة عمل مقدمة لندوة التراث العمراني وسبل المحافظة عليه ، الرياض ، شعبان ١٤٢٤هـ . . علي بن محمد السواط ، دور البلديات في الحفاظ على التراث العمراني في المملكة ص٥ ، بحث مقدم لنفس الندوة ، توجهات القطاع الخاص نحو الاستثمار في مواقع التراث العمراني ص١٢-١٣، ورقة عمل أعدها مركز البحوث والدراسات التابع للغرفة التجارية الصناعية بالرياض ، قدمت لنفس الندوة .

(٢) السواط ٧ .

ب- إعادة النظر في سياسات تخطيط المدن وأنظمة البناء :

يجب إعادة النظر في سياسات التخطيط العمراني وأنظمة البناء والترميم والهدم والإزالة التي تتبعها الأمانات والبلديات ؛ فهذه السياسات قلما تراعي المحافظة على التراث العمراني ؛ ولذا لا بد من تأسيس لجنة ، أو هيئة استشارية مستقلة ، أو مجلس محلي يضم نخب متنوعة من المثقفين والأكاديميين المتخصصين ؛ للنظر في قرارات إعادة التنظيم والهدم والإزالة ؛ بحيث لا تتحول جهود إعادة تنظيم وإعادة المدينة إلى معاول هدم يقضي على تاريخها وتراثها الحضاري[١] .

ج- تفعيل الدور الإعلامي وحث المجتمع على المشاركة :

قد يكون غياب أو قصور الدور الإعلامي أحد أبرز الأسباب التي أدت إلى فقدان جزء كبير من تراثنا العمراني ، إن عدم المبالاة لدى المواطنين هو السبب الأبرز الذي يهدد التراث العمراني ، ولذا فإن استشعار المواطن بأهمية تراثه العمراني ، ووعيه لقيمته الحضارية سيكون عاملاً حاسماً في المحافظة على التراث .

ويمكن أن يضاف إلى المناهج التعليمية بعض المفاهيم التي تدعو إلى الاهتمام بتراثنا العمراني ؛ لتكون حافزاً للناشئين للمحافظة على تراثهم من الزوال والاندثار[٢] .

د- أن تقوم الدولة بترميم وإعادة بعض مباني التراث العمراني لغرض حمايتها من التهدم ، مثل المساجد التاريخية ، ومراكز المدينة القديمة ، وبعض المباني القديمة ، والقصور التاريخية ، والقلاع والأبراج الدفاعية ، وأسوار الحماية حول المدينة وما شابه ذلك[٣] .

ثانياً : دور المجتمع المحلي :

يعتبر زيادة الوعي الأثري والثقافي والإعلامي بأهمية المحافظة على التراث العمراني ، واستثماره لصالح المواطن ؛ أهم العوامل المساعدة في صيانة التراث العمراني .

إن المدينة القديمة في العلا - على سبيل المثال - لا تزال مملوكة لأهالي المدينة ، وبالتالي فإن أية قرارات يتم اتخاذها لتطوير وترميم المدينة القديمة يترتب عليها

---

(١) المصدر السابق ٧-٨ .

(٢) المصدر السابق ص١١ ، محمود زين العابدين ، إعادة توظيف البيوت العربية التقليدية واستثمارها سياحياً ، ((تجربة مدينة حلب)) ص٢١ ، بحث مقدم لندوة التراث العمراني وسبل المحافظة عليه ، الرياض ، شعبان ١٤٢٤هـ .

(٣) توجهات القطاع الخاص ، ص١٤ .

حقوق للمواطنين ، فإما أن تقوم الدولة باستملاك هذه العقارات برضى المواطنين أو أن تقوم بتعويض المالك بأرض أخرى في المخططات الجديدة[١] .

التهدم الكبير في بعض نواحي المدينة

والمواطن الواعي بدور وأهمية التراث العمراني في حياته سيجعله يبادر إلى المساهمة في صيانته ، أو التنازل عنه مقابل المحافظة عليه .

ثالثاً : دور مؤسسات القطاع الخاص :

يعد دور القطاع الخاص في غاية الأهمية للمحافظة على التراث العمراني من الزوال .

فمن الصعوبة أن تضطلع الدولة بجميع عمليات الترميم والحماية ، والمحافظة على كل التراث العمراني ، سواء كان ذلك في مدينة العلا القديمة ، أو أي مكان آخر في المملكة .

---

(١) مرفت مأمون خليل ، التنمية السياحية في مواقع التراث العمراني - التحديات والمعوقات - مدينة الكرك - حالة دراسية ، ص١٨، بحث مقدم لندوة التراث العمراني وسبل المحافظة عليه ، الرياض ، شعبان ١٤٢٤هـ . السواط ، ١٢،١٣.

فمثلاً قامت الدولة منذ عام ١٣٩٣هـ وحتى الآن بتسجيل (٤٠) مبنى وموقع ، وترميم (٥٤) مبنى وموقع بتكلفة تزيد عن مائة وسبعة وسبعين مليون ريال ، وتسوير (٢٩٢) موقع بتكلفة تزيد على واحد وسبعين مليون ريال[١] .

وهذه المباني تحتاج إلى إعادة توظيفها ، والاستفادة منها سياحياً . ونحن إذا أردنا أن يشارك القطاع الخاص بقوة في عمليات الحفاظ على التراث العمراني واستثماره سياحياً ، فلا بد أن تُهيأ البيئة المناسبة للاستثمار ، وتُذلل العقبات التي يمكن أن تقف أمام المستثمر سواء كان ذلك من قبل الأفراد أو الأهالي أو الشركات.

كما تقوم الجهات ذات العلاقة بإعداد الدراسات النموذجية وتقديمها للمستثمرين لمواقع التراث العمراني ، مع تصورات واضحة لمجالات الاستثمار[٢] .

ومن أهم الأنشطة الاستثمارية التي يمكن أن تعيد الحياة إلى مدينة العلا القديمة ما يلي :

توظيف مباني التراث العمراني في العلا سكنيًا :

من أفضل الطرق للمحافظة على مباني التراث العمراني من التهدم هو توظيفها بالسكن فيها ، سواء كان ذلك بصورة دائمة من مالكيها ، أو استثمارها بواسطة القطاع الخاص .

إن توظيف المبنى الأثري يحقق أموراً عديدة تتصل بحماية المبنى :

أ- الحيلولة دون إهمال المبنى وهجره .

ب-إيجاد وسيلة للإنفاق على صيانته والعناية به .

ج- جعله على صلة بالحياة وربط الماضي بالحاضر[٣] .

توظيفها كمتاحف وطنية :

تعد مباني التراث العمراني من أفضل الأماكن لعرض المقتنيات الأثرية والنادرة ، سواء كان ذلك على مستوى الوزارات والهيئات الحكومية المسئولة عن حفظ التراث الشعبي بأنواعه ؛ من منتجات حرفية أثرية ومخطوطات وعملات وغير ذلك .. مع التأكيد على مواصفات عالية الجودة والأمان في طريقة العرض المتحفي[٤] .

---

(١) الحمدان ، ص١١ .

(٢) توجهات القطاع الخاص ص١٢ .

(٣) محمود زين العابدين ص١٤ .

(٤) الحمدان ، ص١٤ .

توظيفها مطاعم لإعداد الأكلات الشعبية :

يمكن أن تقوم الجهة المنفذة لمشروع الترميم وصيانة المباني بتخصيص بعض المباني ذات المواقع المميزة مطاعم يتم فيها تقديم الأكلات الشعبية ، وتعمل الجهة المنفذة والمستثمرة على تهيئة المكان بصورة تراثية حتى لا تشذ عن نسيج المباني التراثية .

توظيفها معامل للرسم والفنون التشكيلية :

يمكن أن يشجع الرسامون التشكيليون ، والهواة على مزاولة نشاطاتهم الفنية في مدينة العلا القديمة ، ويمكن أن تعرض أعمالهم في صالات خاصة بعرض تلك الإبداعات ، أو في المسارات الرئيسية لمباني التراث .

توظيفها أماكن لمزاولة الأعمال الحرفية :

هناك العديد من الحرف اليدوية التي كان أسلافنا يقومون بها ، وإنه من المناسب تخصيص بعض الأماكن في مدينة العلا القديمة وتهيئتها لمزاولة هذه الحرف ، وعرض المنتجات الحرفية ؛ ليتم الاستفادة منها عرضاً وشراءً ؛ ليتكامل مشروع الاهتمام بالتراث العمراني والحفاظ عليه .

توظيف الساحات المحيطة بمدينة العلا القديمة لمزاولة الفنون الشعبية والأنشطة الثقافية والدينية والرياضية والترفيهية :

تتميز الفنون الشعبية بالإقبال الجماهيري الواسع ، وبالتالي فإن توظيف المساحات المطلة على التراث العمراني في مدينة العلا القديمة يكمل جوانب المشروع الاستثماري لمدينة العلا ، لذلك يجب أن تشمل خطة استثمار المباني التراثية الاهتمام بتلك الساحات بتطويرها وتهيئتها وإعادة تصميمها لكي يتم الاستفادة منها على الوجه الأمثل[1] .

٤- تمويل المشروع وتنفيذه :

بما أن المشروع وطني تراثي سياحي فيجب التضافر من أجل تحقيقه قبل فوات الأوان ، فهناك تجربة قام بها أحد أبناء العلا المهتمين بالمحافظة على آثارها ، وهي تجربة رائدة في مجالها ، حيث قام بتدريب مجموعة من شباب العلا

---

(١) توجهات القطاع الخاص ، ص١٥-١٨. الحمدان ، ص١٢ . م. محمود زين العابدين ، ص٢٢ . ليلى قندقجي ، التنمية السياحية للمناطق التراثية – مدينة حلب القديمة مثالا - ص ١٩، بحث مقدم لندوة التراث العمراني وسبل المحافظة عليه ، الرياض ، شعبان ١٤٢٤هـ.

العاطلين عن العمل على عمل (القوالب الطينية) لمدة عشرين يوماً ، ثم قام بترميم أحد المساجد الأثرية في البلدة القديمة ، وتم الفراغ من المشروع في وقت يسير ، فأهالي العلا هم أول الناس حرصاً على بقاء مدينة الآباء والأجداد على حالها ،وبالتالي فإنهم سيسهمون في ترميم البناء متى ما كان المشروع متكاملاً من جميع جوانبه ، إضافة إلى الهيئة العليا للسياحة ، والشركات السياحية التي ستسهم في تمويل المشروع ، حتى يتحول الحلم إلى واقع .

ونحن إذا استفدنا من تدريب مجموعة من شباب العلا على كيفية العمل ، مع إشراف وتوجيه كبار السن من أهل العلا ، فسوف نوفر وظائف دائمة لهؤلاء الشباب العاطلين عن العمل ، ومتى ما اكتمل المشروع فإنه سيكون رافداً سياحياً يوفر مرتبات لهؤلاء الشباب العاملين ، ويمكن أن يشجع أهالي العلا على البذل والعطاء ، بأن يعلن أن البيوت سوف ترمم ويكتب على كل بيت اسم مالكه .

ويمكن أن نجمل الفوائد العائدة من استثمار مباني مدينة العلا القديمة بما يلي :

المحافظة على أصالة الإرث الوطني بما يحمله من مزايا زخرفية وفنية تعبر عن حياة أسلافنا القدماء .

طمأنة المجتمع المحلي ويتمثل ذلك في الشعور الذاتي لهم بأن ممتلكاتهم يمكن الاستفادة منها مع بقائها في مكانها ، وبالتالي زيادة إسهاماتهم في الجوانب التطويرية للمشروع الاستثماري .

تهيئة وتطوير كافة المباني التي يتكون منها النسيج العمراني .

تهيئة وظائف للأهالي في مواقعهم ، وذلك عن طريق المشاركة في مزاولة الأنشطة والفعاليات والخدمات الاستثمارية للمشروع .

إنه بتضافر الجهود والعزم والبدايات الحقيقية فسوف تصبح مدينة العلا القديمة في وقت قريب - إن شاء الله - مدينة سليمة ، تشع نضارة وبريقاً ، وتعيش حاضرها البهيج بماضيها التليد .